**تفسير الآيات من (84 – 92)، الأمر بالقتال، وبعض الآداب الاجتماعية**

بحث فى علم التفسير

إعداد / شادية بيومي حامد

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

**shadia@mediu.ws**

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى الأمر بالقتال، وبعض الآداب الاجتماعية**

**الكلمات المفتاحية – فقاتل، تكلف، الاجتماعيه**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة الأمر بالقتال، وبعض الآداب الاجتماعية**

* **.عنوان المقال**

**وجه المناسبة، والمعنى العام للآيات:**

**فما زلنا مع آيات سورة النساء، ومع قول الله تعالى في هذا اللقاء: {ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ} [النساء: 84 - 87].**

**وجه المناسبة:**

**هذه الآيات الكريمات وثيقة الصلة بما سبقها من الآيات؛ فإنه إذا كان المنافقون قد تآمروا، وبيتوا ما بيتوا، وإذا كان ضعاف الإيمان قد نشروا الشائعات؛ تثبيطًا لأهل الإيمان؛ فإن رسول الله  ليس مسئولًا عن ذلك كله، إنما عليه أن يقوم بأمر الله الذي أمره به، وقد أمر  أن يحمل راية الإيمان، وأن يجاهد في سبيل ربه بما ملكت يداه.**

**ولهذا بعد أن ذكر له ما ذكر من أحوال هؤلاء المنافقين، ومن أحوال ضعاف الإيمان، وممن يغريهم نشر الشائعات، وممن يخذلون ويثبطون، أراد الله  أن يرسم الطريق لرسوله وحبيبه ومصطفاه  فقال: {ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ}.**

**ب. أمر الرسول  بالقتال:**

**فتبدأ الآيات بقوله تعالى: {ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ} أي: إذا كان الأمر على ما قلناه لك، وما بيناه من تخاذل المتخاذلين، وما كان من مواقف مخزية لهؤلاء المنافقين؛ ليتخلى الناس عنك؛ فلتكن أنت القائم بأمر الله  فقاتل في سبيل الله، ولا بد أن نلاحظ أن القتال نراه هكذا مشفوعًا بأن يكون في سبيل الله؛ لأن هذا هو الإخلاص، وهو الطريق الصحيح.**

**الرسول  مأمور أن يخوض هذه المعركة، ولو كان سيقف وحده في وجه الأعداء، فقد رأينا هذا الرسول الكريم البطل الشجاع  في يوم حنين إذ أعجب المسلمون كثرتهم، فقالوا: لن نغلب اليوم من قلة فلما كانت المعركة، وكان الهول من هول المفاجأة التي فاجأت ثقيف بها المسلمين، وولى هؤلاء الأدبار وقف رسول الله  في وجه الأعداء يقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» ولم يكن معه حينذاك إلا عدد قليل من أصحابه، وأخذ الحارث بن عبد المطلب يصيح في المسلمين: "يا أهل بدر، يا أصحاب الشجرة، يا أهل الهجرة، يا أصحاب محمد" إلى أن فاءوا وعادوا إلى رسول الله  وانضموا إليه، وكان النصر بإذن الله، كما قال ربنا: {ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ} [التوبة: 25 - 26] .**

**وقد كان أصحاب رسول الله  إذا حمي الوطيس واحمرت الحدق اتقوا برسول الله  فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه.**

**فهذا كله تنفيذ لأمر الله في قوله عز من قائل: {ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} وقد خاض رسول الله  ما خاض من معارك؛ فما وهن، ولا ضعف، ولا تخاذل، ولا تراجع، إنما كان هو البطل الذي ثبت في ميدان المعركة حين ولى الآخرون الأدبار.**

**ورسول الله  مكلف أن يحرض المؤمنين على القتال في سبيل الله، والتحريض ليس مجرد حث على الجهاد في سبيل الله، وإنما التحريض كلمات بليغات تصل إلى القلوب والأرواح وتدفع من يسمعها أن ينضوي مع ركب المجاهدين ليخوض غمار القتال مع رسول الله  ومع جماعة المؤمنين.**

**ولو تأملنا في ما جاء من كتاب الله، وسنة رسول الله  في باب الجهاد لوجدنا شيئًا كثيرًا، وشيئًا عظيمًا، يدعو -حقًا- إلى أن يخوض المؤمن هذه المعارك طاعة لله، من أجل الله، رفعة لكلمة الله ودين الله، كما قال ربنا: {ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ}.**

**فإذن هذا هو التحريض للمؤمنين على القتال في سبيل الله، ولا بد أيضًا أن نلتفت إلى أن الله  حين أمر رسوله بما أمر قال: {ﯕ ﯖ} فقوله: {ﯕ ﯖ} يعني أنه لا يكلم مجرد من نطق بلسانه، وهو الذي نقول بأنه مسلم، إنما يحدث إنسانًا استولى الإيمان بالله ورسوله وكتابه والملائكة واليوم الآخر على وجدانه ومشاعره، ومن هنا فهو يخاطب ويناشد فيه إيمانه.**

**إذن فقد قام رسول الله  بهذه المهمة خير قيام، وهذا التحريض سيؤدي إلى أن يكف الله بأس الذين كفروا {ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ} وعسى في لغة القرآن إذا كانت هكذا تدل على أن هذا أمر محقق بإذن الله، فإن الله تعالى هو الذي يكف بأس الذين كفروا، والكف معناه إبطال مفعول قوة هؤلاء الأعداء، وقد جرت سنة الله  أنه لا يعطي نصره للمتخاذلين والقاعدين، وإنما يعطي نصره لمن بذل غاية ما في وسعه، ولم يبق له من سبب بشري يستطيع أن يأخذ به، هنا تكون قدرة الله التي لا تحد في أنه  يتولى نصر عباده المؤمنين،**

**قال تعالى : {ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ} [محمد: 7 - 8].**

**فقوله: {ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ} إشارة إلى أن المؤمنين، وإلى أن رسول الله  وهو إمامهم وقائدهم قد بذل غاية ما في وسعه وبذلوا غاية ما في طاقتهم البشرية، الله  يتولى كف كيد هؤويتولى رد هؤلاء خائبين مدحورين، ثم قال مطمئنًا رسوله وحبيبه: {ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ} فيها من التطمين لرسول الله  الكثير؛ لأنها بدأت بلفظ الجلالة الله، والله إذا ما ذكر هكذا باسمه الجليل دل على ما له من صفات الجلال والكمال، وإنما يذكر في هذا المقام -كما قلنا- تطمينًا له : {ﯠ ﯡ ﯢ} أشد بأسًا وقوة وقدرة من كل مخلوق، فإذا كانت المسألة تقاس بالكثرة والقوة والعتاد، ويظن هؤلاء الكفرة أنهم قد أصبح لهم السلطان، وأصبحت لهم السيطرة، وأصبحوا من أولي البأس الشديد؛ فإن الله  هو أشد منهم بأسًا، وهو كذلك أشد تنكيلًا.**

**والتنكيل من النكل، والنكل هو القيد يوضع في الأرجل، والمقصود هنا هو التعذيب الشديد، وإذا كان هؤلاء يظنون أنهم بقدرتهم يستطيعون أن ينكلوا بأهل الإيمان لضعف أهل الإيمان في نظرهم، وقلة عدد المؤمنين وعتادهم وعدتهم؛ فلا بد أن يعلموا أنهم أقوياء، وأن أهل الإيمان الله مولاهم {ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ} [محمد: 11] ومن كان الله مولاه؛ لا بد أن يشعر -تمام الشعور- أنه يستند إلى قوة الإله القوي القادر القاهر الذي لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء.**

**بقي لنا في الآية أن نشير إلى أن قول الله تعالى: {ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ} الإظهار هنا والتعبير بالكفر هنا إنما يبين السبب الذي من أجله كف الله بأس هؤلاء، إنما كف بأس هؤلاء؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله، وكانوا مستحقين لبأس الله، وتنكيله بهم، وفي هذا -كما قلنا- تطمين لرسول الله .**

**ج. الشفاعة الحسنة، والشفاعة السيئة:**

**ثم قال ربنا: {ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ} الآية.**

**الشفاعة هي أن يضم واحدٌ من الناس صوته إلى صوت رجل آخر في المطالبة بحق يصعب عليه أن يصل إليه، فهذه هي الشفاعة، والرسول  كما ثبت في الصحيح- كان يقول لأصحابه: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء».**

**لكن هذه شفاعة حسنة كريمة، والذي يفعل ذلك لا بد أن ينال من هذه الشفاعة نصيبًا من الأجر، ونصيبًا من الثواب ورسول الله  قد حرض المؤمنين على القتال، هناك الوجه المقابل للشفاعة الحسنة، وهو الشفاعة السيئة، ذلكم هو ما يقول ربنا: {ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ} والشفاعة السيئة تشمل كل ما فيه إضرار بالأفراد والجماعات من تمكين الظلمة من ظلمهم، ومَن ارتكبوا السيئات والكبائر أن يفلتوا من عقاب الله لهم، ومن إقامة الحدود عليهم.**

**فمن شفع شفاعة سيئة؛ كان له كفل من هذه الشفاعة، والكفل هو النصيب، وتنكير الكفل يعني أن هذا الكفل شيء عظيم مخيف يتحمله هذا الشفيع الذي أدت شفاعته إلى إبطال حدود الله، وتضييع حقوق عباد الله.**

**والتعبير بالنصيب في الشفاعة الحسنة، وبالكفل في الشفاعة السيئة؛ لأن النصيب يشمل الزيادة، والكفل هو المثل المساوي، فاختيار النصيب أولًا؛ لأن جزاء الحسنة يضاعف، والكفل ثانيًا؛ لأن من جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها، ففي الآية -كما يقول الإمام الألوسي- إشارة إلى لطف الله تعالى بعباده، ويقول:**

**ولو تأملت لوجدت أن كلمة {ﯽ} من القوت، أي: كان الله على كل شئ مقتدرًا بمعنى: أنه هو الذي يمتلك أقوات خلقه، وهو الذي يرزقهم، وبالتالي فعلى هؤلاء الذين يشفعون شفاعة حسنة، وهؤلاء الذين يشفعون شفاعة سيئة أن يدركوا أن الرزاق هو الله  وعلى العاقل أن يطلب الرزق من الرزاق؛ لأن هذا الرزاق هو المقتدر، وهو الحفيظ، وهو القادر، وهو المقيت، {ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ}.**

**د. التحية والسلام، وما لهما من آثار طيبة:**

**وأمر آخر تذكره لنا الآية التالية في قوله: {ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ} ففي هذه الآية الكريمة تأصيل للعلاقات الطيبة التي يجب أن تسود بين أفراد المجتمع؛ لأن التحية تشمل التحية بالقول، والتحية بالفعل، وليست قاصرة على مجرد إلقاء السلام، ورد السلام، إنما التحية قد تكون بكلمة طيبة، أو تكون بهدية، أو تكون بالقيام بواجب، إلى غير ذلك مما يدخل في التحية.**

**فعلى الإنسان المؤمن أن يرد هذه التحية بأحسن منها، أو على الأقل أن يردها بمثلها، وهذا من أدب الإسلام العظيم، وبه تقوم المجتمعات، وتحيا الأمم، ولهذا جاء ختام الآية: {ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ} يعني الله  سوف يحاسب المقصر على تقصيره، كما أنه سوف يحاسب الذي أدى ما عليه من واجبات على إحسانه، وما أداه من واجب.**

**هـ. يوم القيامة حق لا ريب فيه:**

**ختامًا لهذه الجولة يثبت الله  وحدانيته، ويثبت أن مرد الناس إليه، وأنهم سوف يجتمعون عنده؛ ليحاسبهم عما قدموا، وعما أخروا فقال: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ} لا أصدق منك يا ربنا حديثًا، فأنت الله الواحد الأحد الذي تعلم: من يشفع شفاعة حسنة، ومن يشفع شفاعة سيئة، ومن يؤدي الواجب للناس كما أمرت، وكما قلت: وهؤلاء مردهم جميعًا إليك، سوف يجتمعون عندك إلى يوم القيامة، ويوم القيامة لا شك في أنه لا بد أن يكون؛ لأنه هو النهاية التي لا بد أن تتم، فصدقت يا ربنا، ومن أصدق من الله حديثًا؟!.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**